

الأعمال الكريمة

لفضيلة الشيخ

عظيمة الله أبي عبد الرحمن

حكيم الأبرار أحمد الشاذلي المصطفى

رحمه الله

جمعه ورببه وحققه

أبو عبد الرحمن الشاذلي

غفر الله له

الطبعة الثانية بزيادة ونقح

لتحميل الكتاب وتصفحه في الشبكة

صور
الباركود



<https://mktabaj.net/atyah>

لتحميل مجموع الأعمال وتصفحه
من خلال برنامج "التور" حصراً

صور
الباركود



<http://256c73vcfyg3wysyvzauirdxlop7m ovh4jeq2kmlqgpryw ppkgaqbbqd.onion>

الإمام الشافعي

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

كانت الطبعة الأولى في عام: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، وتأتي هذه

الطبعة الثانية -مزيدة ومنقحة بإضافات كثيرة -

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

الرقع الإلكتروني الخاص بمجموع الأعمال الكاملة للشيخ عطية الله:

<https://mktabaj.net/atyah>

وعلى شبكة التور "السفرة":

<http://256c73vcfvq3wysyvzauirdxlop7movh4ieq2kmlaqaprywppkaaqbbqd.onion/>

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم؛ بشرط الدعاء:

للمؤلف الشيخ المجاهد: عطية الله الليبي ﷺ وتقبله وأسكنه الفردوس وأخلف الأمة عنه خيرا

ولأبطال الأمة: المجاهدين الميامين نصرهم الله وسدد رميهم وثبتهم ومكنهم، وأذل عدوهم

وللفقير لربه معدّ المشروع: الزبير الغزي هداه الله وعلمه وغفر له وتقبل منه، وختم له بالخير والشهادة

وللمسلمين عامة، وأهل الشام وفلسطين خاصة أزال الله أعداءهم، ومكن لشعره حكما بينهم

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertifika No: 45528
الإمام الكاملية

عنوان: للشيخ الإمام الشهيد المجاهد - العمرانية

Yamanevler M Dükkan: 1

عطية الله الليبي

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

المكتبة العالمية

الإمام الكاظم عليه السلام

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطاء الله اللبيني

جمال الدين أحمد الشاذلي المصري

الذي استشهد - تقبله الله - بغارة أمريكية صليبية على منزله في خراسان في شهر رمضان ١٤٣٢هـ، أغسطس ٢٠١١م

تقديم:

الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني الشيخ: سيف العدل المصري
الشيخ: أبي عياض التونسي الشيخ: أبي الحسن رشيد البليدي
الشيخ: أبي محمد الفقيه الليبي الشيخ: د. هانئ السباعي
الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي الشيخ: د. ساهي العريدي

الطبعة الثانية - مريخة ومنقحة -

جمعه ورتبه وحققه وخرجه أحاديثه:

أبو عبد الرحمن الشاذلي الزبيدي الغزي

- غفر الله له ودفن له بالشهادة في سبيله على نرك بيت المقدس -



دار الكتاب العالمي



تذكرة من شهر رمضان

[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، رمضان ١٤٢٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانه.

وبعد: فهذه تذكرة لطيفة كتبها تذكيراً لِنَفْسِي ولِإِخْوَانِي بمناسبة هذا الشهر الكريم الذي أظننا «شهر رمضان»، وعسى أن ينتفع بها من هو خيرٌ منا؛ فيعمل ببعض ما فيها فيرزقنا الله أجره وإن لم نبلغ عمله، وقد جعلتها متضمنةً للتذكير بحق الله تعالى علينا في هذا الشهر من العبادة والأحكام والوظائف، وفوائد متعلقة بهذا الركن، ولطائف تعرض رأيت أن فيها فائدة لمن عقلها، وإنما العلم مناسبات، وحاولت التبسيط والاختصار حدراً من الضجر والملل؛ فإننا في وقت ما عادت النفوس تطيق التطويل والسرد الكثير، بل تميل إلى الاختصار والتقليل والقراءة السريعة، راجيا من المولى ﷺ أن يجعلها ذخراً لنا في آخرتنا يوم نلقاه.

تذكرة في الإخلاص والنية:

تنوعت عبارات العلماء ﷺ في تعريف الإخلاص، وحاصله: تجريد العمل من شائبة التوجه إلى غير الله تعالى، أي إخلاص العمل له والتوجه والقصد والإرادة، فلا يقصد العبد بعمله إلا الله تعالى ورضاه وما عنده من الثواب وجزيل الكرامة.. وعليه؛ فالإخلاص هو خلاصة التوحيد، ولَبَّ الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» التي هي كلمة الإخلاص، والمخلص هو عبد الله حقاً، وكلما كان أكثر إخلاصاً كان أعرق في عبوديته لربه وأكمل تحقيقاً للتوحيد، وقد أمر الله ﷺ بالإخلاص له في كتابه العزيز وكرره وأبدأ فيه وأعاد، ونكتفي بذكر بعض الآيات خشية التطويل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿١٠٦﴾﴾ [البينة]، وقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾

[الزمر: ٢ - ٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى ذكره: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل] أي وله الدين دائما في كل حين وحال لا يشركه فيه أحد ﷻ.

والأمر بالإخلاص ومدحه النهي عن ضده وذمه في السنة أيضا كثير مشهور. وضد الإخلاص الشرك بأنواعه، ومنه الرياء والتسميع، وقد نهى الله عنه ورسوله أيما نهى. ومعنى الرياء: إيقاع العمل قاصداً أن يراه الناس فيمدحوه ويعظموه ونحو ذلك. ومعنى التسميع: إسماع الناس أنه عمل كذا وكذا من العمل الصالح ليمدحوه ويعظموه. والإخلاص شرط لقبول العمل مع شرط الصحة، فلا يقبل الله من عبد عملاً حتى يكون صالحاً خالصاً، بينه الله تعالى بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١١﴾﴾ [الكهف]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

وبين الله ﷻ في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز أن المطلوب من العبد بالمقام الأول إحسان العمل أكثر من إكثاره، وأن حسن العمل خير من كثرته، والعمل الحسن هو ما كان أتم في استجماع الشرطين المذكورين وهما: الجريان على قانون الشريعة، والإخلاص لله تعالى فيه، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوكُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الملك]؛ فبين تعالى في هذه الآيات الكريمات أنه خلق الخلق ليختبرهم ويستظهر في عالم الشهادة التي مبنى الجزاء عليها أيهم أحسن عملاً.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٨٤].

قال العلماء: هذا تنبيه على الإخلاص، فإن المجيء بالحسنة يتضمن فعلها والمحافظة عليها وصيانتها عن المحبطات ومفسدات العمل حتى يلقي الله تعالى بها يوم القيامة، فإن بعض الناس يعمل العمل ثم لا يجيء به يوم الجزاء لكونه ذهب هباء منثوراً، نسأل الله السلامة.

وهذا يقودنا إلى السؤال عن محبطات العمل ومفسداته، وقد حصرها بعض العلماء في الشرك؛ فقال: لا يحبط العمل إلا بالشرك إما كلياً أو جزئياً، فالشرك الأكبر وهو الكفر والردة أعادنا الله وإياكم منها، محبط للعمل بالكلية، والرياء والتسميع محبط لما قارنه من العمل، وهذا قدر متفق عليه.

وقال بعض العلماء: إن محبطات العمل أعم من الشرك؛ فإن الأعمال الخبيثة الموبقة قد تسبب إحباط بعض العمل الصالح، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات] قالوا: وهذا -رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ- ليس شركاً، بل معصية كبيرة، ومع ذلك حذر الله أن تحبط عمل صاحبها، واستدلوا بقول عائشة ﷺ لامرأة من آل زيد بن أرقم حين علمت أنه تباع بالعينة: «أخبري زيداً أنه أحبط جهاده مع رسول الله ﷺ» وصححو الخبر؛ قاله ابن القيم ﷺ^(١)، واستدل له بعضهم أيضاً بقوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ وصححه بعضهم: (إن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباءً منثوراً) قالوا: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نشعر، قال: (إنهم منكم ويأخذون بحظهم من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)^(٢).

وهذه مسألة فيها بحث ونظر، فالله أعلم، وإنما ذكرتها تميماً وتنبها لخطورة الأمر.

فصل: والنية هي المعنى الباعث على العمل من حب الله تعالى وتعظيمه والتصديق بخبره تعالى ووعدته ووعيده، وهي والقصد والعزم والإرادة ألفاظ متقاربة في المعنى والنية الحسنة الصالحة تجامع الإخلاص فيما سبق ذكره، وتختص النية بأمر، منها: تعيين العبادة وتمييزها عن العادة، وتمييز الأفعال الجبلية الطبيعية عن القربات، والتمييز بين العبادات كسنة أو نافلة، وصلاة ظهر أو صلاه عصر ونحو ذلك.

(١) مصنف عبد الرزاق (١٤٨١٢) قالت: «أخبرني زيد بن أرقم: أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب»، وذكر هذا الخبر ابن عبد البر في: الاستذكار (٢٧٢ / ٦) وقال: «هو خبر لا يثبت أهل العلم بالحديث ولا هو مما يحتج به عندهم، والحديث منكرو اللفظ لا أصل له لأن الأعمال الصالحة لا يحبطها الاجتهاد وإنما يحبطها الإرتداد ومحال أن تلزم عائشة زيداً التوبة برأيها ويكفره اجتهادها فهذا ما لا ينبغي أن يظن بها ولا يقبل عليها»، ونصر ابن رجب الحنبلي في: تفسيره (٢١٦ / ١) هذا القول واستحسنه وقال: «والأثار عن السلف في حبوط بعض الأعمال بالكبيرة كثيرة جداً، يطول استقصاؤها.. وأما من زعم أن القول بإحباط الحسنات بالسيئات قول الخوارج والمعتزلة خاصة، فقد أبطل فيما قال، ولم يقف على أقوال السلف الصالح في ذلك. نعم، المعتزلة والخوارج أبطلوا بالكبيرة الإيمان كله، وخلدوا بها في النار، وهذا هو القول الباطل، الذي تفرّدوا به في ذلك». ونصر ابن القيم تصحيح هذا الحديث جدا ودل على ذلك في: زاد المعاد (٣ / ١٣٢، ١٣٣) واستدل بهذا الأثر في مواطن؛ فلترجع.

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٤٥) وصححه الألباني، وفي الحكم على هذا الحديث خلاف كبير ليس هذا موطنه.

وفي النية قول الله تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ) [الحج: ٣٧]، وقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) متفق عليه^(١). ومعنى (إنما الأعمال بالنيات) أن اعتبار الأعمال من حيث القبول وعدمه، ودرجتها عند الله تعالى ونحو ذلك إنما هو بحسب النية.

مثاله: رجلان يدعوان إلى الله ويجاهدان في سبيله - في الظاهر -، أحدهما نوى أي قصد وأراد وابتغى بذلك نصر الدين وإعلاء كلمة الله تعالى، ونفع الناس وإنقاذهم من الجهل والهوى ونحو ذلك من المقاصد الخيرة وفوق ذلك كله رضى الله تعالى وجزيل ثوابه والدرجة عنده.. والآخر نوى أي قصد وأراد وابتغى تحصيل رياسة وشرف وحظوة عند الناس ونحو ذلك، وليس له كبير التفات إلى ما عند الله واليوم الآخر. والاحتساب قريب في معناه من النية الصالحة، كقوله ﷺ: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً)^(٢)، وقوله: (فلتصبر ولتحتسب)^(٣)، وقول معاذ: «وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(٤).

مسألة خطيرة الشأن:

النية السيئة تفسد العمل في الجملة وتحبطه وتجعله غير مقبول، وليتها تقف عند هذا الحد فقط؛ بل إنها في بعض الأحيان حين تقارن الأعمال العظيمة الشأن التي هي نعمة جليلة وهبة منه تعالى وحقها أن توقع خالصة لوجهه تعالى؛ فإنها لا تفسد هذه الأعمال على صاحبها فحسب ولكنها تقلبها إلى سيئات وموبقات نسأل الله السلامة والعافية، ومثال ذلك ما قصه علينا نبينا ﷺ من حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة كما في الحديث المشهور الذي «رواه مسلم»، وهم المقاتل ليقال جريء، والذي قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال قارئ، والمنفق ليقال جواد^(٥).

وصحّ عن النبي ﷺ أيضاً: (من تعلّم علماً مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم

(١) صحيح البخاري (١، وغيره في سبعة مواضع)، صحيح مسلم (١٩٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٨)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري (١٢٨٤، ٦٦٠٢)، صحيح مسلم (٩٢٣٠).

(٤) صحيح البخاري (٤٣٤١، ٤٣٤٤).

(٥) صحيح مسلم (١٩٠١) بنحوه.

يجد عرف الجنة يوم القيامة^(١).

فالله الله في النية.. نسأل الله أن يصلح نياتنا ويرزقنا الصدق والإخلاص.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

فصل، وهنا مسائل تكلم فيها العلماء:

منها: من جاهد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، وقصد مع ذلك تحصيل الغنيمة، والصحيح فيها إن شاء الله أن ذلك لا يضر، لأن قصد الغنيمة مشروع مباح لترغيب الله ورسوله فيها وعدّها من أشرف الكسب، وفيها أحاديث صحاح؛ كقوله ﷺ: (من قتل قتيلاً فله سلبه)^(٢)، لا سيما عند من رأى أنه قال ذلك قبل القتال كالشافعي وأحمد خلافاً لمالك ﷺ جميعاً، وكقوله لعمر بن العاص ﷺ: (إني أريد أن أبعثك إلى هذا الوجه فيسلمك الله وتغنم) قال يا رسول الله: إنما أسلمت ابتغاء وجه الله، قال: (نعم المال الصالح للرجل الصالح) أو كما قال، وهو حديث صحيح رواه أحمد وغيره^(٣).

لكن قد يقال: إنه مع ذلك ينقص من أجر المجاهد، ولا يكون بمنزلة من جاهد لإعلاء كلمة الله ولم يلتفت بقلبه لشيء أصلاً ولا حصل شيئاً من متاع الدنيا، فهذا كمل أجره وهو أكمل ممن قصد أشياء أخرى مما هو مشروع أو حصلها كما بينت ذلك أحاديث أخرى أيضاً.

وهذا ما لم تكن إرادة الغنيمة أو أي منفعة دنيوية هي الغالب عليه وهي الباعث الأساسي والحقيقي له؛ فإنه قد صح: أن رجلاً قال يا رسول الله، رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من عرض الدنيا، فقال رسول الله: (لا أجر له) فأعاد عليه ثلاثاً والنبي ﷺ يقول (لا أجر له) رواه أبو داود^(٤).

قال العلماء: وهذا محمول على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

وهذا بخلاف مسألة من غزا يلتمس الأجر والذكر؛ فقد سئل عنه رسول الله ﷺ فقال: (لا شيء له) يعني من

(١) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، سنن ابن ماجه (٢٥٢) وصححه الألباني، صحيح ابن حبان (٧٨)، مستدرک الحاكم (٢٨٨) وقال: «هَذَا

حَدِيثٌ صَحِيحٌ سَنَدُهُ، ثِقَاتٌ رَوَاتُهُ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ أَهٌ»، قال الذهبي في «التعليق»: «على شرطهما».

(٢) صحيح البخاري (٣١٤٢)، صحيح مسلم (٢) بلفظ: (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْتَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ).

(٣) مسند أحمد (١٧٧٦٣) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ولفظه كاملاً: (.. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ

فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً) الخ الحديث المذكور فوق.

(٤) سنن أبي داود (٢٥١٦) وحسنه الألباني، مسند أحمد (٧٩٠٠) وحسنه لغيره الأرنؤوط.

الأجر. والحديث في سنن النسائي^(١).

وأما ما يقع في نفس المسلم مثلاً من أن الناس يمدحونه ويذكرونهم بخير ويعتبرونه بطلاً ونحو ذلك إذا جاهد في سبيل الله، فلا يضره، لأنه لا يقصده ابتداءً وليس هو باعته على العمل والجهاد في سبيل الله، بل هو أشبه بتحصيل الحاصل، لأنه معلوم أن من سنة الله تعالى في خلقه أن الناس يحبون ويحمدون الأبطال وأصحاب الفعّال، وإنما الضرر على من جعل ذلك هو مقصده ومراده، فهذا ليس له من جهاده إلا ذلك، فإذا أفضى إلى ربه ﷻ عذبه، كما مرّ في الحديث.

والأمر خطير، ونسأل الله السلامة والعافية.

ومنها: من شرع في العمل لله ثم طرأ عليه الرياء أثناءه، كمن صلى لله ابتداءً ثم طرأ عليه الرياء أثناء الصلاة، والراجح فيها التفريق بين أصل العمل وصفته، والتفريق بين ما يتجزأ وما لا يتجزأ.

ومنها: أن يصوم الإنسان وهو يريد مع العبادة تحصيل الصحة لبدنه ونحو ذلك؛ فهذا لا بأس به إن شاء الله ما دام الباعث الحقيقي والغالب هو عبادة الله تعالى بهذا الصوم، وذلك كمن يعاني من السمنة ويستعمل أنظمة تخفيف الوزن - الريجيم - ففكر أو نصحه طبيبٌ - مثلاً - بأن يصوم الاثنين والخميس أو يوماً بعد يوم؛ فهذا لا بأس به ولا يضره إن شاء الله أن ينوي الصوم مع قصد تحصيل تلك المصلحة، لأن الباعث الأساسي هو طاعة الله وإنما التقت العبادة هنا مع منفعة مباحة مطلوب تحصيلها نوع طلب فشجعه ذلك على هذه العبادة، بدليل أنه يمتنع عن شربة ماء مثلاً، ويمتنع عن التدخين إن كان ممن ابتلي بمعصية الدخان، وقد يمتنع عن استخدام السواك أو شم العطر إن كان ممن يظن أن ذلك يؤثر في الصوم ونحو ذلك، وهو يعرف أن كل ذلك لا يؤثر في ريجيمه، والله أعلم.

وهذا كالذي يتوضأ ويقصد مع تحصيل الطهارة للعبادة التبرّد من الحرّ ونحو ذلك.

ومنها: من عمل العمل خالصاً لله، فمدحه الناس وأثنوا عليه، وفرح بذلك، والصحيح أن ذلك لا يضر العمل، بل جاء في الحديث أنه ﷺ سئل عنه فقال: (ذلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم^(٢)، فهو من جملة نعم الله عليه فلم لا يفرح به ويشكر الله عليه؟! وقد قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٦﴾) [الشعراء]، وقال: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾) [الصفات]، (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾)

(١) سنن النسائي (٣١٤٠) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٤٢) بلفظ: (تلك عاجل..)، وأما لفظ (ذلك عاجل..): ففي: سنن ابن ماجه (٤٢٢٥) وصححه الألباني.

[مریم] ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان].

ومنها ما قاله العلماء من السلف: «العمل من أجل الناس رياء، وترك العمل من أجل الناس شرك»^(١)، يعنون أن الأمرين محذوران مذمومان، وكلاهما يرجع إلى ضعف الإخلاص أو زواله، الفعلُ والترك، لأن مبناهما هنا على ملاحظة الخلق لا ملاحظة الخالق ﷻ.

فصل:

ينبغي أن يُعلم أن الإخلاص يُتعلّم ويكتسب، ولولا ذلك لما كان في أمر الله ورسوله به فائدة ولا معنى.. فينبغي للعبد أن يروّض نفسه عليه، ولذلك طرق نبيه بحول الله على شيء منها.

فمنها: التنبيه المستمر للنفس أن تلاحظ الله تعالى وما عنده وتتخلّص من ملاحظة المخلوقين وتعويدها أن يستوي عندها مدح الناس وذمهم في الأصل ما دام العمل مرضيا عند الله.

ومنها: المحاسبة الدائمة للنفس؛ لِمَ فعلت كذا ولم فعلت كذا؟ أَللَّهِ أم لغيره؟

ومنها: أسباب تقوية الإيمان جملة بالأعمال الصالحات والتفكير ونحوها؛ فإنه كلما قوي إيمان العبد وعرف قدر نفسه وحقارته وعبوديته، وعرف ربه وعظمته وكمالته وجلاله وجماله، وأحبه وخافه ورجاه؛ فإن ذلك يؤدي به إلى الانقياد له وإرادته وحده دون غير والتعلق به.

ومنها: قراءة قصص وسير الصالحين المخلصين من الأنبياء وأتباعهم وعلى رأسهم الصحابة وصالحو التابعين وعلمائهم وسائر المشهود لهم في الأمة بالصدق والإخلاص والصلاح والخيرية، فإن في قصصهم عبرة لأولي الألباب.

ومنها: التنبه لوسوسة الشيطان؛ فإن له في هذا الباب وساوس ومكائد عظيمة، وذلك يتناسب مع عظم هذا الباب في الدين، وليدفع عن نفسه وسوسة الشيطان بقوة العزم والثقة بالله تعالى وحسن الظن به ﷻ ورجائه سبحانه وملاحظة كرمه وجوده ومنته وعظيم فضله وما شابه ذلك من المعاني.. وقد رأيت بعض الإخوة الصالحين نحسبهم كذلك كثير الوسوسة والشك حتى لا يكاد يعمل عملا إلا وهو يوسوس ويتهم نفسه بعدم الإخلاص ويمتنع أحيانا عن بعض العمل من أجل تلك الوسوس، وهذا ليس بجيد، وهو قدر زائد على الخوف المحمود من أن لا يتقبل الله عمله، وهي الصفة التي مدح الله أهلها في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون] فليتنبه إلى هذا الفرق.

(١) قال هذه الكلمة: الفضيل بن عياض، انظر: شعب الإيمان (٦٤٦٩).

والقصدَ القصدَ، ونسأل الله لنا ولكم الهدى والسداد والتوفيق.

ومنها: معاشره الصالحين ممن يظن فيهم الإخلاص والصدق وحسن المعاملة مع الله والمراقبة له تعالى .
ومنها: أن يتخذ العبد له بعض الأعمال الخفية الصالحة ويجعلها سرًا بينه وبين الله لا يراها ولا يسمع بها
أحدٌ من الخلق كصلاة أو صدقة أو خدمة أو مساعدة مسكين وضعيف إلى غير ذلك؛ فإن ذلك مما يعلم
النفس الإخلاص والافتداء بفعل نفسها وتذوق طعم الإخلاص فتعود عليه وتجد حلاوته.

وقبل ذلك كله: سؤال الله الإخلاص والإعانة عليه والإلحاح عليه في ذلك والإكثار من التضرع له؛ فإنه إن
لم ييسره الله لم يتيسر **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة]، **(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)** [هود: ١٢٣]، وليعلم أن سؤال
الله ذلك ونحوه أهم وأولى من سؤاله الرزق والمال وسائر حاجات الدنيا ونجاحاتها.

مَلْحَظٌ: لا يكاد الناس يسألون عن الإخلاص في أداء الفرائض، وإنما يتوجه بحثهم إلى الإخلاص في أداء
النوافل والقربات مما سوى الواجبات والأركان.. ووجه ذلك مفهوم.

والإخلاص مطلوب في الفرائض قبل النوافل، لكن لما كان المسلم لا يتصور أنه يكون مسلماً مؤمناً
بدون إخلاص في الفرائض كالصلوات المكتوبة وصوم رمضان سهل عليه الخلوص من الوسوسة في
بابها، وبقي باب النوافل والتطوع مجال الوسوسة والمجاهدة.. وتدبر هذا مما يعين على طرد
الوسوسة ويعطي فسحة رجاء، والله الموفق.

فائدة: الفرق بين الصدق والإخلاص، أحسن ما رأيت فيه ما قاله ابن القيم **رحمته**: «الصدق توحيد
الطلب، والإخلاص توحيد المطلوب»^(١)؛ فتأمله فإنه لطيف.

نسأل الله الكريم أن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص.

والله الموفق، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

فصل:

إذا علم ذلك فلنعقد العزم إخواني أننا إذا مدد الله في أعمارنا وأعطانا الصحة والعافية وحضرنا رمضان؛
أننا نصومه بعونه تعالى مجتهدين في إيقاعه على الوجه الذي يرضي ربنا **رحمته** وكما بين لنا رسولنا **رحمته**
عن ربنا، طاعةً لله تعالى وتعظيمًا لأمره وامتنالاً له ومسارة في الاستجابة له وخضوعاً وتذللاً

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٧) قال: «فَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ: تَوْحِيدُ الْمَطْلُوبِ، وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ: تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ».

ومحبةً، راجين منه ﷺ أن يتقبل منا ويتوب علينا، ويكتبنا من عباده المرحومين المغفور لهم المرضي عنهم، وأن يجعلنا من أهل «باب الريان» الذي هو باب من أبواب الجنة يدخل منه الصائمون ولا يدخل معهم أحدٌ غيرهم، وراغبين إليه ﷺ أن يرزقنا تقواه والاستقامة على صراطه المستقيم في هذا الشهر وفيما بعده ما أبقانا.. وهو ذو الفضل العظيم الكريم المنان الوهاب الرحمن الرؤوف الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل؛ في فضل رمضان وفضل صيامه وقيامه وفضل العمل الصالح فيه، وبيان معنى قول الله: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) (١).

شهر رمضان أفضل الشهور، فيه نزل القرآن، وهذا له معنيان: أنه وقع فيه ابتداء نزوله، وأنه نزل فيه جملة من اللوح المحفوظ إلى الصحف التي بأيدي الملائكة في السماء الدنيا كما وضحه ابن عباس رضي الله عنه، وفي رمضان ليلة القدر وهي أفضل الليالي على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر]، وفيه الليالي العشر وهي أفضل الليالي وليلة القدر إحداها. وصيام رمضان أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧٢] أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة]

وفي معنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧٢] قال العلماء: لتقوا، وليهيئكم ويُعدكم للتقوى، ولتكونوا على رجاء حصول التقوى لكم.

وهنا فائدة: اشتهر عند العلماء أن «عسى» من الله واجبة -ومثلها «لعل» -، ومعناها كما شرحها بعض المحققين: أن الإشارة من العظماء بمنزلة التصريح من غيرهم، وأن الكريم إذا كان محلّ الأمل اقتضى عظيم منزلته وشرفه أن لا يخيب مؤمّله.

(١) صحيح البخاري (١٩٠٤، ٥٩٢٧)، صحيح مسلم (١١٥١).

وأزيدة توضيحا فأقول: الإنسان العادي والسوقة من الرعية مثلا إذا قُدِّر له أن يلتقي الملك أو الأمير أو ما شابهه من عظماء القوم فإنه إذا طلب إليه حاجة، فإن الملك أو ذلك العظيم قد يقول له: عسى يكون خيرا، ولعل كذا إن شاء الله، أو يلمح له بنوع عبارة أنه يقضي حاجته، فجرت عادات العظماء ومنهم عظماء العرب وأشرفهم أن التلميح والإشارة من العظيم يكفي، وأنه بمنزلة التصريح من غيره، والقرآن نزل ﴿يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء]، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، والفرق بين هذا الأسلوب وبين التصريح أنه يجعل العبد متعلقا بمولاه بحبل الرجاء.. فتأمله فإنه نفيس.

وأصل الإشكال أن «عسى» و«لعل» موضوعان في اللغة: للتوقع والمقاربة في الأول، والرجاء في الثاني، وهما فعلان من أفعال العبد ولا ينسبان إلى الله تعالى، لأن علم الله كامل لا يعتريه نقص؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقدرته كاملة ﷻ لا يعزّه شيء؛ فكان توجيهها ما أوضحته.

والمقصود: أن شهر رمضان موسم للعبادة الحقة والتزود من التقوى فمن خاض في بحره بجهد وحسن نية ورغبة فيما عند الله ﷻ حصل له التقوى بلا شك وحصل له نور عظيم، وأجر كريم، وحصل له زاد من تقوى الله يعينه على السير في طريق الله تعالى إلى أن يلقي ربه؛ فإن لقيه في عامه فذاك، وإلا حلّ عليه رمضان الآخر فتزود للعام الذي بعده، وهكذا حتى يلقي ربه.

والله ﷻ من لطفه بنا ورحمته نوع لنا العبادات وكثر طرق الخير، وشرع لنا فرائض وأركاناً لا يسع أحداً تركها لأن تركها هدمٌ للدين بمعنى من المعاني - إما الكفر في بعضها أو ما هو قريب من الكفر في أخرى على تفاصيل معروفة في موضعها-، وشرع لنا نوافل وتطوعاتٍ رغبنا فيها من غير إيجاب؛ فهذه مجال للمسابقين إلى الخيرات المنافسين على المكرمات والمقامات العاليات.

لكنه نبهنا إلى أن تلك الأركان والواجبات هي أحب له وأولى عنده من النوافل والتطوعات؛ فلا يتوهم متوهم أن النوافل التي يتطوع بها خير مما افترض الله عليه؛ فربما حصل له من طريق ذلك من على ربه ورؤية لنفسه وعمله.

وفي الفرائض من المعاني والحكم والأسرار ما لا يقارن به ما في النوافل.

وكل هذا من حديث النبي ﷺ: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه).. ثم ذكر النوافل، رواه البخاري^(١).

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

وهذه الأركان وصوم رمضان منها: هي كالأعمدة لبناء الدين، وقد شبه النبي ﷺ الصلاة بعمود البيت في حديث^(١)، وهي مثبتات على الطريق وكالأوتاد وكالجبال للأرض لتستقر ولا تضطرب.

ولهذا يجب أن يكون اعتناء العبد بالأركان والواجبات أعظم من غيرها.

ومما جاء في الشريعة لتعظيم ركن الصوم:

❖ النهي عن صوم اليوم الذي يُشك فيه «يوم الشك» - وهو اليوم الذي يشك هل هو من تمام شعبان أو هو أول رمضان-.

❖ والنهي عن تقدّم رمضان بصوم يومٍ أو يومين كما ثبت في حديث الصحيحين^(٢)، وفي آخر: النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان كما في حديث رواه الترمذي وغيره^(٣).

وللعلماء في حلّ اختلاف الحديثين وجهان: الأول: تضعيف حديث النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان، فلا نأخذ به ولا يعارض ما ثبت في الصحيحين، والوجه الثاني: أن يحمل النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان على الكراهة - كراهة التنزيه - ليتقوى الإنسان على صيام رمضان ولا يضعف ويتهيأ للقُدوم على الشهر بنشاط وجدّ ورغبة، وحمل حديث الصحيحين على التحريم.

يستثنى منه كما صرح به الحديث من كان يصوم صوماً فليصمه.

وهذا الحكم يشبه ما جاء في باب الصلاة من النهي عن وصل الفريضة بالنافلة حتى يفصل بينهما بفاصل من كلام أو انتقال^(٤).

❖ ومن تعظيم شهر رمضان: تحريم صوم يوم العيد، والأمر بالأكل وإظهار الفرح والسُرور في العيد وتمييزه بسنن مخصوصة.

❖ والترهيبُ من إفطار ولو يومٍ واحدٍ منه أي من رمضان تعمّداً، فإنه لن يقضيه وإن صام الدهر كما جاء في

(١) فجعل الصلاة عمود الدين، قال ﷺ: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة)، انظر: سنن الترمذي (٢٦١٦) وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (١٩١٤)، صحيح مسلم (١٠٨٢) ولفظ البخاري: (لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ).

(٣) سنن الترمذي (٧٣٨)، سنن أبي داود (٢٣٣٧)، وصححه الألباني.

(٤) يعني بذلك قول معاوية رضي الله عنه: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ لَا تُوَصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ)، صحيح مسلم (٨٨٣).

حديث هكذا، لكن ضعفه الأكثرون^(١).

وانتزع الفقهاء من ذلك أنه إذا أفطر لخطأ أو نسيان - عند من يفطر بذلك ويوجب القضاء - أو عمداً، أو قادمًا من سفر - عند آخرين - أو أفطرت المرأة لحيض أو نفاس ثم طهرت في أثناء النهار، أنه يجب عليه الإمساك بقية يومه، قالوا: لحرمة الشهر.

❖ وتغلط المعاصي فيه لحرمة أيضاً.

أما التنويه بالصوم وبرمضان وإعلاء شأنه وذكر فضائله وبركاته في كلام الله ورسوله فكثير جداً وأكثره معروف، وكل ذلك من عناية الشريعة المطهرة بهذا الشهر وهذا الركن الجليل وتمييزه وتنبية نفس المسلم إلى عظيم قدره.

وقال رسول الله ﷺ: (قال الله: كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه) متفق عليه وهذا أحد ألفاظ البخاري^(٢).

وفي معنى قوله (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) للعلماء أقوال: أظهرها أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تعبيراً عن جزيل ثوابه وعظيم جزائه عنده، قال بعض العلماء: إن الله عين للملائكة أجزية الأعمال وما يُضاعف إلا الصوم، فإذا كان الصوم فإن الملائكة لا تعرف أجره وثوابه، فترفع أمره إلى الله تعالى فيقول الله: أتركوه لي، قاله الدهلوي رحمه الله في «الحجة البالغة»: «وهذه منقبة عظيمة للصيام»^(٣)، وذكر العلماء من أسباب ذلك أن الصوم لا يدخله الرياء، بمعنى أن المرائي والمنافق لا يستطيع أن يرائي بفعل الصوم لأنه لا يظهر - مع أنه قد يرائي بادعاء الصوم -، وأن الصائم لا يمكن أحداً الاطلاع على صدقه إلا الله تعالى، وأنه ترك محض، وأنه ترك لشهوات النفس وحظوظها من أجل الله تعالى وحده، وأنه عبادة جمعت الشكر والصبر وهما كل الدين، وذكر بعض العلماء أنه لم يعبد به غير الله قط، فإن الأصنام والأوثان وسائر الآلهة الباطلة

(١) يعني بذلك قوله ﷺ: (مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ)، انظر: سنن الترمذي (٧٢٣) وهو ضعيف ضعفه الألباني وغيره من المتقدمين، ورواه البخاري ممرضا له غير محتج به.

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٤)، صحيح مسلم (١١٥١).

(٣) حجة الله البالغة (١ / ١٤١، ٢ / ٧٨) قال: «وَالصَّوْمُ حَسَنَةٌ عَظِيمَةٌ يَقْوِي الْمَلِكِيَّةَ، وَيُضَعِّفُ الْبَهِيمِيَّةَ».

عبدت بالصلاة والدعاء والصدقة والنسك وغير ذلك إلا الصوم فما يُعرَفَ عبدٌ به غير الله تعالى.. وغير ذلك مما جاءت الإشارة إليه في الأحاديث ومما استظهره العلماء رحمهم الله.

ومعنى (الصيام جنة) أي وقاية، وأطلق للتعميم والتفخيم، فهو وقاية من النار وسخط الجبار، وفي طريق ذلك هو وقاية للنفس من آفاتنا ومن كثير من الأمراض والمعائب.

ومعنى (خُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ) تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

وكونه (أطيب عند الله من ريح المسك) هل المقصود الآن في الدنيا أو يوم القيامة، الاثنان محتملان، ووقع في هذه المسألة سجال بين بعض العلماء.

وقال: (إذا جاء رمضانُ فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وُصفدت الشياطين) متفق عليه، وفي لفظ: (سُلبت الشياطين) ^(١).

ونحن نؤمن بذلك كله حقاً وصدقاً على ما أخبر الصادق المصدوق رحمهم الله ومعناه واضح والله الحمد، ومعنى (صفدت الشياطين) أي قيّدت ومنعت من كثير من الحرية والحركة مما كانت تستطيعه في غيره، وليس معناه أنها لا توسوس بالكلية، وهذه فضيلة عظيمة لرمضان، ولعل الكثيرين منا يشاهدونها في نفسه وفي غيره.

وقال: (من صام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه ^(٢).

وفي آخر: (من قام رمضان) متفق عليه أيضاً ^(٣).

وفي الحديث الذي رواه الترمذي والإمام أحمد في مسنده وغيرهما عن أبي هريرة رحمهم الله قال: قال رسول الله رحمهم الله: (رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عَنْدهُ أَبُوَاهُ الْكَبْرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ)، قال ربيعي - الراوي -: ولا أعلمه إلا قد قال: (أو أحدهما) ^(٤).

في صحيح ابن حبان عن مالك ابن الحويرث أن رسول الله رحمهم الله قال: (أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ

(١) صحيح البخاري (١٨٩٨، ١٨٩٩)، صحيح مسلم (١٠٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٨)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٧)، صحيح مسلم (٧٥٩).

(٤) مسند أحمد (٧٤٥١) وصححه الأرئوط.

الله، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ^(١).
فإنَّ الله في هذه الفرصة إخواني لا نضيعها، والله المستعان وبه الثقة.

فصل: حقيقة الصوم وصفة الصائمه

حدّ الصوم الظاهر الذي لا يجزئ ما وراءه: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية.

لكن قد بين النبي ﷺ أن حقيقة الصوم أعمق من ذلك؛ فجاء في الحديث القدسي وقد سبق ذكره: (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) أحد ألفاظ البخاري ولفظ مسلم قريب منه، وفي نفس الحديث: (إذا كان يومٌ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم)^(٢)، وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) البخاري^(٣)، والله ﷻ لا حاجة له إلينا أصلاً، لكن هذا تعبير عن عدم القبول وأنه لا يبالي به؛ فكأنه يقول بتعبيرنا مثلاً: لا داعي تتعب نفسك!!
نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله أن نردّ ونطرد عن رحمته وجزيل ثوابه.

وروى هذا الحديث أبو دواد أيضاً في سننه ولفظه: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل)^(٤) وليس المراد الجهل الذي هو ضد العلم، بل الجهل الذي هو ضد العقل والحلم، وهو استعمال القوة الغضبية في خلاف الحق؛ فتجده يغضب كثيراً لأدنى سبب، ويصخب ويرفع صوته كثيراً، ويسب ويشتم ويخاصم كثيراً ويفجر إذا خاصم ولا ينصف.

وربما زاد على ذلك أن يعزو سوء حاله إلى الصيام، فكأن الصيام هو سبب فحشه وجهله، بدل أن يكون الصيام له مهذباً ومؤدباً وسكينة وطمأنينة، عافانا الله وإياكم.

فبين لنا رسولنا ﷺ في هذه الأحاديث وما في معناها أن حقيقة الصوم تشمل ترك شهوات النفس تركاً مآلاً - ولا يمكن تركها بالكلية ولا قصدت الشريعة إلى ذلك-، وترك الرفث والفسوق والمخاصمة والفجور وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة وما شابه ذلك، فهذا الصوم هو موسم لهذا الترك، ومن امتنع عن

(١) صحيح ابن حبان (٤٠٩) وصححه الألباني لغيره.

(٢) صحيح البخاري (١٨٩٤).

(٣) صحيح البخاري (١٩٠٣).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٥٧)، ولم أف على لفظ (الجهل) في سنن أبي داود، وهذا الحديث عنده برقم (٢٣٦٢).

الأكل والشرب والجماع فقط مع استمراره في سائر الفسوق والفجور وانهماكه في شهوات نفسه مما سوى ذلك فإنه بمنزلة من لم يصم، وهذا تشنيع على من هذا حاله، وتفسير من هذا الحال، ولكن في الأحكام الشرعية الظاهرة لا يحكم عليه بفساد صومه ووجوب قضائه.

والخلاصة: أنه على المؤمن الصائم أن يجعل نصب عينيه دائماً أن هذا الشهر -ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون- هي موسم للصبر والعبادة والإقبال على الله والتزود من التقوى والتدرب على الصبر والشكر واكتساب الفضائل وتهذيب النفس؛ فهو كمدرسة أو دورة تدريبية مكثفة وفي غاية الأهمية. فإذا جعل ذلك نصب عينيه طوال هذا الشهر واجتهد وحاول واستعان بالله مولاه فإن الله تعالى لا يخيبه سبحانه.

وأما ما جرت به عادات الناس في هذا الزمن من جعل الصوم موسمًا للأكل والشرب والتخمة، حتى كأنهم يجوعون أنفسهم في النهار ليستكثروا من الأكل والشرب بالليل؛ فهذا خلاف حقيقة الصوم وحكمته، ومُذْهَبٌ للكثير من بركته ونوره.. وتراهم مع ذلك يسهرون ليلته في المفاكهة ثم ينامون النهار يقطعون الوقت بالنوم في انتظار لحظة الإفطار والليل.

صحيحٌ أنه للصائم فرحتان: إحداهما حين يفطر، وذلك يصدق بفطره كل يوم وبالفطر من الشهر كله وهو العيد، لكن ليس معنى هذا أن نتجاوز ونسرف ونزيد على حدّ الشبع كل ليلة ونذهل بسبب ذلك عن حقيقة هذه العبادة العظيمة ونفرت في القيام وساعات الذكر وقراءة القرآن، فأقل أحوال من يفعل ذلك أنه مغبون قد فاته خير كثير.

نسأل الله أن يصلح أحوالنا جميعاً، وأن يعفو عنا.

وأما الطامات العظام التي يندى لها الجبين ويوشك أن ينزل بسببها علينا العذاب في أيّ حين، فهو ما عمّ به البلاء في بلاد الإسلام العربية والعجمية من إقامة الحفلات الغنائية والفنية -زعموا- في ليالي رمضان، وإحيائها بالرقص والاختلاط والعري والفجور، وترعاها حكومات ودول فاجرة اتخذت شريعة الله وراءها ظهرياً، وبدلت نعمة الله كفرًا، بدل أن تُحيا بالطاعة والقنوت والقيام والذكر والبكاء من خشية الله.

وهذا والله من عظيم المنكرات التي نبرأ إلى الله منها، ونعلم أنه لا يطهرها في الغالب -في سنة الله- إلا السيف، وإنه لقدام إن شاء الله، أترأاه وفتية الإسلام يحملونه قادمين من بعيد، يسعون هوناً ويمشون رويداً، وعمّا قريب يأذن الله بالفتح والفرج؛ فتزول عن أمتنا الغمة وتنكشف بإذنه الكربة، ألا إن نصر الله قريب.

فصل: في بركات الصوم وفوائده وحكمه الجليل

الصوم عبادة عظيمة البركات والفوائد على المسلم في نفسه وعلى المجتمع الإسلامي في جملته، وسأذكر جملاً من هذه الفوائد والبركات:

ومنها: أن الصوم جنة كما قال المصطفى ﷺ؛ أي وقاية تقي صاحبها من هجمة القوى السبعية والشهوانية للنفس وتكسر حدتها وتلين طبعها وتكسبها اعتدالاً، ولذلك قال ﷺ في الحديث الآخر: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) متفق عليه^(١).

ومنها: أنه تدريب للنفس على الصبر وتحمل التكاليف وإعداد لها لمقامات الرجولة التي يحبها الله، وتعليمها الشكر أيضاً لأنه حين يفقد النعمة فقد مؤقناً اختيارياً يوضع في حالة تصور فقدها حقاً، ويتولد عنده إحساس بنعمة وجودها، فيتوجه قلبه إلى الله بحمده وشكره على نعمه وآلائه

ومنها: تعليم النفس الإخلاص والمراقبة لله تعالى، وهو أجل الفوائد، وهو المشار إليه في قوله ﷺ: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة] وقد سبق الإشارة إليه.

ومنها: إكساب النفس فضائل كثيرة أخرى تعرف بالتأمل والتجربة، من معرفة الإنسان بنفسه وخبايها والوقوف على نقاط ضعفها وغير ذلك.

ومنها: ترقيق المشاعر وتنمية العواطف النبيلة من خلال تذكّر الفقراء والمحتاجين والجوع والإحساس بشيء من حالهم.

ومنها: تنمية التوادد والتحابب التعاطف والتكافل بين المسلمين من خلال (من فطر صائماً)^(٢)، وزكاة الفطر: (أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم)^(٣) وغيرها.

ومنها: أنه أي صيام رمضان صورة بديعة لوحدة المسلمين بحيث يصومون ويفطرون كلهم في شهر واحد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كل يوم من هذا الشهر، وفي ذلك من المعاني الإيحائية والظلال الجميلة الباهرة ما فيه، وهو من حكم الشريعة الغراء، ففيه ترسيخ للوحدة بين المسلمين وتثبيت لمبدأ الجسد الواحد.

وفي الصيام فوائد صحية للبدن عرفها الناس بالتجارب وتكلم فيها الأطباء، من إراحة المعدة والمساعدة

(١) صحيح البخاري (٥٠٦٥)، صحيح مسلم (١٤٠٠).

(٢) سنن الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني، وتماهه: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا).

(٣) سنن الدارقطني (٢١٣٣) بلفظ: (أغنوهم عن الطواف..) وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٨٤٥).

على تنظيم عملها، على ألا يفسد ذلك بكثرة الأكل والزيادة على الشبع أو حتى الشبع كل ليلة، مع التنبيه هنا إلى أن الحديث الذي يُروى: (صوموا تصحوا)^(١) هو حديث ضعيف لم يثبت إسناده.

وفيه: تربية للنشء؛ يتدربون فيه على العبادة والمراقبة من الصَّغَر ويبدأون يفهمون ويتذوقون معناها، ويتلقون دروسهم الأولى في الصبر والتحمل.

وفي صوم رمضان أيضًا: إشعار بالارتباط بموكب الصالحين السابقين على امتداد هذه الأمة، والأمم التي قبلها أيضًا، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] والله أعلم؛ فالمؤمن الصائم يستشعر أنه يصوم هذا الشهر الكريم كما صامه النبي ﷺ وأصحابه والسابقون من المسلمين، وكذلك هو يصوم كما صام المسلمون من قبله لله تعالى من الأمم السابقة وإن لم يكونوا يصومون شهر رمضان على الخصوص.

هذا والله أعلم وأحكم، وهو الموفق لكل خير.

فصل: في معنى الصبر الذي هو لب الصوم، وبيان شيء من فضله

الصبر هو: حبس النفس والأعضاء واللسان عن كل ما يكرهه الله، كالجزع والتسخط والشكوى لغير الله، وقد قدّمتُ أن مبني الصوم على الصبر فهو لبّه، وإن كان الصوم فيه أيضًا معنى الشكر كما أشرنا إليه من قبل.

والصبر والشكر هما جماع الدين؛ فإن الإنسان لا يخلو من إحدى هاتين الحالين: إما في حال مشقة وضراء تستدعي الصبر، أو حال يسرٍّ ومسرّة تستدعي الشكر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر] فسرها بعض المفسرين من السلف بالصائمين، فهذا يلتقي مع قوله في الحديث القدسي كما سبق: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به).

وذكر الله تعالى الصبر في القرآن في قريب من تسعين موضعًا، أمرًا به وحثًا عليه ومدحًا لأهله وإعلاء لشأنه، ومن ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣، الأنفال: ٤٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران]، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾﴾ [البقرة: ١٥٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا

(١) الطب النبوي لأبي نعيم (١١٣)، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٣٥٠٤).

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ [فصلت]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٤٤﴾ [السجدة]، ولما نعت عباد الرحمن وأثنى عليهم بجميل الأوصاف، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر].

قال العلماء: والصبر ثلاثة أقسام:

صبرٌ على قضاء الله تعالى وأقداره من البلاء وحال الشدة والضراء.

وصبرٌ على طاعة الله وملازمتها والاستقامة عليها.

وصبرٌ عن معصية الله ومحارمه؛ يصبر عنها فلا يقربها ولا يأتيها.

قال الإمام البخاري في «صحيحه» في «كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٥١﴾ [الزمر] وقال عمر: وجدنا خير عيشنا بالصبر»^(١).

قال الإمام ابن حجر في شرحه: «قوله «باب الصبر عن محارم الله» يدخل في هذا المواظبة على فعل الواجبات والكف عن المحرمات، وذلك ينشأ عن علم العبد بقبحها وأن الله حرمها صيانةً لعبده عن الرذائل؛ فيحمل ذلك العاقل على تركها ولو لم يرد على فعلها وعيده، ومنها الحياء منه والخوف منه أن يوقع وعيده فيتركها لسوء عاقبتها، وأن العبد منه بمرأى ومسمع فيبعثه ذلك على الكف عما نهى عنه، ومنها مراعاة النعم فإن المعصية غالباً تكون سبباً لزال النعمة، ومنها محبة الله فإن المحب يصبر نفسه على مراد من يحب. وأحسن ما وصف به الصبر أنه: حبس النفس عن المكروه وعقد اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج.. إلى أن قال: قال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، صبرت الشيء: حبسته. فالصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، وتختلف معانيه بتعلقاته فإن كان عن مصيبة سمي صبراً فقط، وإن كان في لقاء عدو سمي شجاعة، وإن كان عن كلام سمي كتماناً، وإن كان عن تعاطي ما نهى عنه سمي عفة»^(٢) اهـ.

وقال رسول الله ﷺ: (ومن يستغفب يغنه الله، ومن يستغفب يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد

(١) صحيح البخاري: (قبل ح ٦٤٧٠).

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٠٣).

عطاء خيرا وأوسع من الصبر) متفق عليه^(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الطهورُ شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نورٌ، والصدقة برهان، والصبرُ ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)^(٢).

فصل: في سرد جملة مفيدة من أحكام الصوم وآدابه

قدمنا أن الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وسنذكر هنا جملة من أحكامه وآدابه

❖ يجب الصوم على المسلم البالغ العاقل المقيم المطيق، مع الخلو من حيض ونفاس؛ فلا يجب على صبي، ولكن يستحب إن أطاق أن يرغب فيه ويدرب عليه.

❖ وغير المطيق كالشيخ الكبير أو المريض مرضاً مزماً يطمع عن كل يوم مسكيناً مداً من طعام، أو وجبة غداء أو عشاء كاملة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❖ ومن خاف بصومه الضرر على نفسه، أو الحامل على جنينها أو المرضع على رضيعها؛ فله الفطر على أن يقضي متى قدر، فإن لم ترج إمكان القضاء فدت كالمزمن.

❖ والمسافر رخص الله له أن يفطر على أن يقضي عدد ما أفطر من الأيام، ومثله المريض مرضاً غير مزمن، فالصوم واجب في ذمتها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❖ ولا يجب الصوم على حائض ولا نفساء ولا يصح منهما ولا يجوز، يعني أنها حتى لو صامت فإن صومها باطل بل هي ترتكب حراماً بذلك وتتعرض للإثم. ولكنه وجب في ذمتها فيقضيان الأيام التي أفطرتها بسبب الحيض أو النفاس، وهذا بخلاف الصلاة فإن الحائض والنفساء لا تقضي الصلاة، والله الحجة البالغة.

وهذه مسألة مهمة فليتنبه لها، وينشر العلم بها في النساء، فإن من النساء من ترفض الفطر في رمضان إذا حاضت وتصرت على الصوم جهلاً.

وأما الفتيات العواتق يستحيين أن يُطلع على أنهم حيض فيكتمن ذلك ويفطرن سرّاً ويظهرون الصوم، فهذا

(١) صحيح البخاري (١٤٦٩)، صحيح مسلم (١٠٥٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٣).

غير الأول وهو واسع إن شاء الله بحسب الحال، لكن المهم أن تعلم أنه يجب عليها الفطر، وتفطر.

مفسدات الصوم:

❖ الأكل والشرب والجماع وما في حكمها.

قال العلماء: في حكم الأكل والشرب وصول طعام أو شراب إلى الحلق، وتناول دواء مغد كإبرة السيروم التي للتغذية والتقوية.

وأما إبرة الدواء غير المغذية فلا تفسد الصوم.

والدخان - وهو السيجارة - قد صرح العلماء المعاصرون أنها تفطر، وبكل حال هي خبيثة، والأصح في حكمها أنها محرمة، عافانا الله وإياكم وكل أحببنا منها.

وأما مضغ العلك - اللوبان أو المصطكى - فلا يجوز، وربما يفسد الصوم إن كان له طعم ونوع تغذية.

وإخراج المنى تعمداً على الأصح يفسد الصوم، فإن خرج بغلبة وبدون تعمّد كاحتلام أو بسبب نظر أو تفكّر فلا يضر، لكن يكره ملابسة أسبابه أو يحرم بحسبه؛ كالتقبيل للزوجة فإنه يجوز في الأصل لمن ملك نفسه، وقد كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم، لكن يكره - وربما أفتى العلماء بتحريمه - إن خشى أو علم أنه لا يملك نفسه، كالشباب الشديد الشبق، أو القادم على أهله بعد غياب، ولا سيما إذا كانت المرأة حسناء.

❖ والقيء فيه تفصيل كما جاء في الحديث: (من ذرعه - أي غلبه - القيء فلا شيء عليه، ومن استقاء - أي تسبب في القيء بنفسه متعمداً بإدخال أصبعه في جوف فمه مثلاً - فليقض) رواه أبو داود والترمذي^(١).

❖ والحجامة على كل حال مكروهة للصائم لأنها تضعفه، وللاحتياط والخروج من الخلاف، فإن احتاج إليها فليحاول أن يؤخرها إلى الليل

لكن إن احتاج إليها في النهار أو اضطر فاحتجم هل تفسد الصوم أو لا؟ فيها خلاف بين أهل العلم، والأصح إن شاء الله أنها لا تفسد الصوم وهو قول أكثر أهل العلم، وحديث (أفطر الحاجم والمحجوم)^(٢) منسوخ على أصح الأقوال بأحاديث أخرى صحت من فعله وقوله ﷺ.

ومن باب أولى ما يؤخذ من الدم من المريض لأجل التحليل؛ فإنه لا يضر، وهو في الغالب شيء يسير، لكن علماءنا يقولون: إن الأولى دائماً في مثل هذا أن يؤخره إلى الليل حيث أمكن.

(١) سنن أبي داود (٢٣٨٠)، سنن الترمذي (٧٢٠)، سنن ابن ماجه (١٦٧٦) وصححه الألباني.

(٢) سنن أبي داود (٢٣٦٩)، سنن الترمذي (٧٧٤)، مسند أحمد (٢٢٤٣٢)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

❖ وههنا مسائل يُظنُّ أنها تفسد الصومَ وليست كذلك:

فمنها: السواك، ولو كان رطباً، ولو وجد طعم العود -أراك أو غيره- في فمه فلا يضره. هذا هو الصحيح خلافاً لمن كرهه

ومنها: شم الطيب والعطور والأزهار، كل ذلك جائز لا شيء فيه.

ومنها: الغبار يدخل فم الصائم والخيشوم ويتنفسه الإنسان في طريق أو مصنعٍ مثلاً أو طاحونةٍ، كل ذلك لا يضر على الصحيح في مذهب المالكية وغيره، لكن إن تجمّع في فمه وكثر فليزقه.

وبعض الناس يتحاشى بلع ريقه وهو صائم يظن أنه يضر الصوم، وربما تكلفوا وأصابتهم وسوسة وعنت، وكل ذلك تكلفٌ وخروج عن هدي الشرع.

والتبرّد بمضمضة الفم بالماء في الوضوء وبغير وضوء لا يضر ولا يكره، ولا يلزم المبالغة في التفل والبزاق بعد أن يمّج الماء.

ومنها: تذوق الطعام لحاجةٍ، لا يضر، ويكره لغير حاجةٍ.

ومنها: الكحل -للعين- لا يضر إن شاء الله

وكذلك قطرة الدواء في العين والأذن وإن وجد طعمها في حلقه، لا تضر الصوم إن شاء الله، وبه أفتى كثير من العلماء المعاصرين، لأنها ليست من جنس الطعام.

ومنها: الاغتسال في نهار رمضان؛ يتحاشاه الكثيرون حتى يترك بعضهم الغسل للجمعة مثلاً، ولا كراهة فيه، وليحترس أن يدخل الماء إلى حلقة، وما عليه بعد أن يحترس.

ومنها: الاستنشاق في الوضوء يتركه بعض الناس في نهار رمضان حذراً من دخول الماء إلى حلقه، وهو جهلٌ ووسوسة، والاستنشاق هو إدخال الماء إلى الأنف، وقد علّم النبي ﷺ رجلاً اسمه لقيط بن صبرة الوضوء فقال: (وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً)^(١) رواه أبو داود والترمذي.

ومعناه أنه يستحب المبالغة إلى حدٍّ ما في إدخال الماء إلى الأنف في الوضوء إلا إذا كان الإنسان صائماً فلا يبالغ بل يستنشق بلطفٍ لئلا يصل الماء إلى حلقه، لكن إن وصل الماء مع الاحتراس فالعلماء مختلفون - وهي مسألة الخطأ - منهم من يوجب القضاء فيه ومنهم من لا يوجبه وهو الأرجح.

❖ من أكل أو شرب ناسياً: من أكل أو شرب ناسياً فلا شيء عليه؛ لأن النبي ﷺ قال: (من نسي وهو

(١) صحيح البخاري (١٩٢٣)، صحيح مسلم (١٠٩٥).

صائمٌ فأكل أو شرب، فليتمَّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) (١) متفق عليه.

وبعض العلماء يوجبون على الناسي القضاء، ولكن الصحيح أنه لا قضاء عليه لهذا النص، وهذا من رحمة الله تعالى وفضله.

❖ من جامع في نهار رمضان: ومن جامع في نهار رمضان وجب عليه الكفارة مع قضاء اليوم، والكفارة هي: عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً على هذا الترتيب كما جاء مبيناً في الحديث الصحيح. وعليه مع ذلك أن يتوب ويستغفر.

❖ السحور: قال رسول الله ﷺ: (تسحروا فإن في السحور بركة) متفق عليه (٢).

ويستحب تأخير السحور، قال النبي ﷺ: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) متفق عليه (٣). ويجوز له الأكل إلى طلوع الفجر الصادق، ومعظم الناس اليوم في المدن والقرى في أنحاء بلاد المسلمين يسمعون أذان مساجدهم، فإذا سمع النداء للفجر فليمسك لأن الأذان هو إعلام بدخول الوقت، أما ما وضعته بعض الجهات الرسمية مما سمّوه «وقت الإمساك» وجعلوه حوالي عشرين دقيقة قبل الفجر الصادق وزعموا أنه للاحتياط فهذا لا يلزم بل هو خلاف السنة.

❖ الإفطار: ويستحب تعجيل الفطر؛ فيفطر إذا غاب قرص الشمس، أو أقبل الليل واضحاً من جهة الشرق وأدبر النهار من جهة الغرب.

وكما قلنا في الإمساك كذلك في الإفطار عامة المسلمين يسمعون النداء بالمغرب فيفطرون، لأن النداء إعلام بدخول الوقت والأصل في المؤذنين التحري ويؤذنون إذا تحققوا دخول الوقت، بأن يعرفوا بأنفسهم إن كانوا عارفين بأحكام المواقيت، أو باتباع تقويمات صحيحة، فإن كان غير ذلك

(١) صحيح البخاري (١٩٣٣)، صحيح مسلم (١١٣٥).

(٢) صحيح البخاري (١٩٢٣)، صحيح مسلم (١٠٩٥).

(٣) صحيح البخاري (١٩٥٧)، صحيح مسلم (١٠٩٨)، وظاهر أن استشهاد الشيخ هنا ليس في محله؛ فلعه وهم ﷺ، وقد دلّ على استحباب تأخير السحور حديث سهل بن سعد قال: «كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي، ثُمَّ تَكُونُ سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وحديث زيد بن ثابت لما سُئِلَ: كم بين الأذان والسحور؟ فقال: «قدر خمسين آية». انظر: صحيح البخاري (١٩٢٠)،

فليفطر إذا تحقق دخول الوقت.

❖ ومن مستحبات الإفطار:

أن يفطر على ثلاث تمرات، فإن لم يجد فعلى شربة ماء كما كان النبي يفعل ﷺ
ومن أذكاره: (اللهم لك صمتٌ وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن
شاء الله) رواه أبو داود^(١).

ويستحب الدعاء عند الإفطار لأنه جاء في الحديث أنه من موطن الإجابة، قال رسول الله ﷺ:
(للصائم عند فطره دعوة لا تُردّ) رواه ابن ماجه^(٢)، وفي حديث آخر: (ثلاثة لا ترد دعوتهم - وذكر
منهم - الصائم حين يفطر) رواه الإمام أحمد وغيره^(٣).

❖ فضل تفتير الصائم: قال ﷺ: (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم
شيء) رواه الترمذي^(٤)، وهو يشمل الفرض والنفل، وحيث يكون الصائم فقيراً محتاجاً فهو أكمل
وهذا هو أصل مورده، فهو صدقة وتفتير وتعظيم لشعائر الله ومحبة للخير وأهله وخير كثير.

فصل في وظائف رمضان من الأعمال الصالحة:

شهر رمضان موسم عبادة وتزود من الصالحات، فينبغي للعبد أن يملأه بالأعمال الصالحة ويجتهد
فيها، وقد كان العلماء من السلف ﷺ كالإمام مالك وغيره يتوقفون فيه عن دروس العلم وحلق
التحديث ويتفرغون فيه للعبادة، مع أن الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادة في الجملة، لكن
لأنهم استشعروا خصوصية هذا الموسم، وأنه فرصة لا تفوت، والشيء في محله لا يعدله غيره.

فلنذكر جملة من أهم العبادات والأعمال الصالحات في شهر رمضان:

(١) أما (اللهم لك صمتٌ وعلى رزقك أفطرت) فهو في: سنن أبي داود (٢٣٥٨) وضعفه الألباني، والشق الثاني فيه (٢٣٥٧) وحسنه.
(٢) سنن ابن ماجه (١٧٥٣) المستدرک (١٥٣٥)، شعب الإيمان (٣٦١٢)، وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٩٢١)، وقال علوي
السقاف في: تخريج الظلال (٥٨): «ضعيف يحتمل التحسين»، وقال محمد فؤاد عبد الباقي تعليقا على الشُّنن: في الزوائد إسناده
صحيح.

(٣) سنن ابن ماجه (١٧٥٢) وضعفه الألباني مقصودنا من الحديث، مسند أحمد (٨٠٤٣) وقال الأرئؤوط: صحيح بشواهده وطرقه.

(٤) سنن الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني.

❖ قيام الليل: قال رسول الله ﷺ: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه^(١)، وكان النبي ﷺ يجتهد فيه أكثر مما يجتهد في غيره، ولا سيما في العشر الأواخر منه. وقالت عائشة أم المؤمنين ﷺ: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة) متفق عليه^(٢)، لكن مع ملاحظة صفة صلاته ﷺ؛ فقد قالت عائشة ﷺ أيضاً في تمة هذا الحديث: (كان يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ) الحديث، وهذا هو الأكمل لمن قدر عليه، لكن لا يدلّ على المنع من الزيادة على إحدى عشرة ركعة، وهو قول أكثر العلماء.

وصلاة التراويح وهي قيام الليل جماعة في المسجد قد شرعها النبي ﷺ وفعّلها في حياته، وصلى الناس معه ليلتين أو ثلاثاً، ثم تركها خشية أن تُفرض على المسلمين، رحمةً ورأفةً بهم واختياراً للتيسير، وبوفاته ﷺ زال هذا المخوف، ففعّلها الصحابة رضي ﷺ، وجمع سيدنا عمر ﷺ الناس عليها في المسجد عندما رأهم حريصين عليها ويصلونها متفرقين جماعات جماعات صغيرة، فجمعهم على إمام واحد في مسجد النبي ﷺ.. وصار سنة في المسلمين، فالحمد لله رب العالمين. وقال النبي ﷺ فيها: (من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) رواه ابن حبان في صحيحه^(٣). فليحرص المسلم في رمضان على صلاة التراويح، وليحرص على أن يكملها مع الإمام؛ فإن بدا له أن يصلّي من آخر الليل مثلاً فليصلّ شفّعاً ولا يعدّ الوتر.

ومن آدابها: تطويل القيام - القراءة - وتطويل الركوع والسجود، والاجتهاد في الدعاء، وختم القرآن فيها ليسمعه الناس كاملاً مرتلاً وتلين به القلوب، والفصل بين كل ركعتين والتين تليهما بجلسة خفيفة ليست طويلاً.

القنوت فيها في الركعة الأخيرة - وهي الوتر - مستحب، ولو تركه الإمام أحياناً فهذا من الفقه، لكي يشعر النفس بعدم لزومه، ولا يظن العامة وجوبه.

(١) صحيح البخاري (٣٧)، صحيح مسلم (٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٠١٣)، صحيح مسلم (٧٣٨).

(٣) سنن النسائي (١٦٠٥)، سنن الترمذي (٨٠٦)، صحيح ابن حبان (٢٥٤٧)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

❖ الإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن: ارتباط شهر رمضان بالقرآن واضح كما سبق، وقد (كان النبي ﷺ يأتيه جبريل ﷺ فيعارضه القرآن كل رمضان مرة، وإنه عارضه القرآن في العام الذي توفي فيه مرتين)^(١)، والقرآن هو أفضل الذكر؛ فيستحب عند جميع العلماء الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وفي غير الصلاة، ويستحب أن يختم القرآن، ويكرر ختمه وفي ذلك من المعاني: أن العبادة لا بد أن تكون مرتبطة بالقرآن وعلى نور القرآن، فرمضان يجمعهما أحسن جمع؛ العبادة وهداية القرآن.

الذكر يشمل القرآن وغيره، فليكثر منه ما استطاع، ولا شيء من الأعمال بعد الفرائض يعدل ذكر الله، بل كل العبادة هي ذكر الله من قول أو عمل، لكن المراد هنا الذكر اللساني، المصحوب بيقظة القلب وحضوره، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب]. قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا إلا الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال اذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال» اهـ^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝﴾ [البقرة]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب].

وفي الحديث: (وأمركم بذكر الله كثيرًا فإن مثل ذلك كمثلي رجلٍ طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه منهم، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله) رواه الترمذي وغيره^(٣).

(١) انظر: مسند أحمد (٢٤٩٤) وصححه الأرنبوط، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَعْزُصُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِئِلَ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٤٦، ١٩/ ١٢٤).

(٣) سنن الترمذي (٢٨٦٣)، مسند أحمد (١٧٨٠٠)، وصححه الألباني والأرنبوط.

وقال النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى يا رسول الله. قال: ذكرُ الله ﷻ) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه^(١).

وتكلم العلماء في الإشكال الوارد في هذا الحديث، وهو أن فيه تفضيل الذكر على الجهاد، وأجابوا على ذلك بأجوبة من أظهرها الحمل على اختلاف الاعتبارات؛ فالنبي ﷺ مرة قال إن أفضل الأعمال كذا ومرة قال كذا بحسب الاعتبار وبحسب حال المخاطبين وما هو الأفضل في حق كل، والله أعلم.

المقصود أن ذكر الله تعالى فضله عظيم جداً، فما أشدَّ غبن الغافلين!

ومن رحمة الله تعالى ولطفه بنا أن علمنا كيف نذكره، وعدد لنا الأذكار ونوعها ووزعها على الأسباب والمناسبات والمواسم، لتخف على النفس ويتجدد نشاطها وتفكر فيها وتتدبر ويحصل لها في كل ذلك من أنواع المشاعر والتوجه إلى الله ما يكمل الآخر، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان].

فليحافظ المسلم الصائم على أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ والأكل والشرب والدخول والخروج وسائر أذكار اليوم والليلة، وليستكثر من التسيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على النبي ﷺ وكل أنواع الذكر المشروع وهو كثير والله الحمد.

وليتدبرها ويتفكر في معانيها، وليحضر قلبه ما استطاع عنده؛ فإذا فعل ذلك رجا إن شاء الله أن يكتبه الله من السابقين المفردين الداخلين في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وكان ذلك له حرزاً وحصناً حصينا من الشيطان الرجيم.

❖ الدعاء: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

رمضان ليله ونهاره فرصة للدعاء؛ فلنتضرع إلى الله فيه أن يصلح أحوالنا ويغفر لنا ويعفو عنا، وأن

(١) سنن الترمذي (٣٣٧٠)، سنن ابن ماجه (٣٧٩٠)، مسند أحمد (٢٢٠٧٩)، وصححه الألباني.

ينصرَ أمتنا ويكشف كربتنا، ولنلجَّ على الله تعالى فإن الله يحب الملحِّين في الدعاء، ولنسأله من خيري الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: (الدعاء هو العبادة) رواه الترمذي^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال (تقولين: اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَّ فاعفُ عني) رواه الترمذي وابن ماجه^(٢).

ومن مواطن الدعاء المهمة خلال هذا الشهر الكريم: عند الإفطار، وفي جوف الليل وخاصة في الثلث الأخير وعند السَّحَر أي قرب الفجر، وبين الأذان والإقامة، وفي كل سجوده في صلاته، وبعد التشهد وقبل التسليم من صلوات الفريضة، وإذا نزل المطر، وفي لحظات صفاء النفس وخشوعها ودمع العين، وحين التقاء الصفيين واحتدام القتال بالنسبة للمجاهد في سبيل الله، وحيثما اجتمع أكثر من سبب للاستجابة - حسب الأسباب والمواطن التي بينها الشريعة-؛ فليبادر المؤمن بالدعاء وليحرص عليه أشد الحرص.

❖ الصدقة: الصدقة برهانٌ كما في الحديث الذي سبق ذكره، وفي القرآن والسنة من الترغيب في الصدقة والإنفاق الشيء الكثير جداً؛ لأن الصدقة تطهر النفس من الشحِّ والبخل والهلع وكثير من الأمراض والآفات، وتعلّمها السخاء والبذل والعطاء وتكسبها رفعةً وتحرراً من التعلّق المفرط بالمادة والدنيا الفانية، فهذه العبادة إذا اجتمعت مع صوم رمضان كانت أتمّ ما يكون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ، وكان جبريلُ يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير من الريح المرسلة) متفق عليه^(٣).

قال تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل

(١) سنن أبي داود (١٤٧٩)، سنن الترمذي (٢٩٦٩)، سنن ابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي (٣٥١٣)، سنن ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٦)، صحيح مسلم (٢٣٠٨).

عمران، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران].

❖ رمضان شهر الجهاد والرباط: شهر رمضان ارتبط منذ مشروعيته بالجهاد؛ ففي أول رمضان صامه المسلمون مع رسول الله ﷺ كانت غزوة بدر الكبرى التي هي يوم الفرقان التي فرق الله بها بين الحق والباطل وأذل الشرك وأهله.

وفي رمضان أيضًا كان فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية.

فكان لهذا الارتباط والاتفاق انعكاس في تاريخ المسلمين وأجيالهم لا ينكر.

ولا زال المجاهدون الأبرار عبر عصور هذه الأمة يعتبرون شهر رمضان شهر المزيد من الجهاد والرباط والتضحية والفداء والاستشهاد، أسوة بصالح الأعمال في هذا الشهر الكريم.

وقال رسول الله ﷺ: (من صام يومًا في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا) رواه البخاري، وفي لفظ آخر عند غير البخاري: (ما من مرابط يربط في سبيل الله فيصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا)^(١)، قال العلماء: هذا محمول على من لم يخش ضعفًا ولا سيما من اعتاد به، فصار ذلك من الأمور النسبية فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين، ويجوز للمجاهد إذا علم أن الصوم في رمضان يضعفه عن قتال العدو أن يفطر ثم يقضي كالمسافر والمريض، والله الحمد والمنة والفضل.

نسأل الله أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان نصرًا عزيزًا، وأن يفتح لهم فتحًا بينًا.

❖ العشر الأواخر والاعتكاف:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيًا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ

(١) صحيح البخاري (٢٨٤٠)، وقلما لفظ إلا كان شبيها بلفظ البخاري، وأما التنصيص على الرباط، فقد قال ابن حجر: «قال ابن الجوزي: إذا أُطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد، وقال القرطبي: سبيل الله طاعة الله؛ فالمراد من صام قاصدًا وجهه الله، قلت: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك، ثم وجدته في فوائد أبي الطاهر الدهلي من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن المقبري عن أبي هريرة بلفظ: (ما من مرابط يربط في سبيل الله فيصوم يومًا في سبيل الله..) الحديث» فتح الباري (٦/ ٤٨).

المئزر^(١)، متفق عليه، وعنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشرَ الأواخرَ من رمضان حتى توفاه الله تعالى) متفق عليه^(٢).

والاعتكاف عبادة عظيمة تعلّم المسلم الصبر وحبس النفس على الطاعة وتفريغ قلبه من شواغل الدنيا، وفيها تعرّضٌ ليلية القدر، وفيها حكمٌ طيبة من خاض تجربتها عرفها وأحبها إن شاء الله. ومن أحكام الاعتكاف: أنه يشترط له أن يكون في مسجد جامع لكي لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجماعة.

وَألا يخرج إلا لحاجةٍ كقضاء حاجته، أو للغسل من جنابةٍ، وإحضار طعامٍ لا بد منه مثلاً ونحو ذلك؛ فإذا خرج لغير حاجة بل ليجمّ نفسه أو يتحدث مع الناس لغير ضرورةٍ ونحو ذلك فسد اعتكافه وانقطع.

ولا يشترط أن يعتكف جميع العشر الأواخر، بل يصح اعتكافُ يومٍ فأكثر.

ويستحبُّ للمعتكف: أن يتخذ له في المسجد حجرةً أو عريشاً في المسجد يجلس وينام فيه، إذا أمكن بحسب المقام، وأن يتقلل من النوم، ويكثر من الذكر وقراءة القرآن، والصلاة، ويجدّ ويجتهد فإنها فرصة عظيمة.

❖ ليلة القدر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾ [الدخان]، وقال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه^(٣)، وهي في العشر الأواخر من هذا الشهر العظيم، والأرجح أنها في وترٍ منها.

وقال كثير من العلماء: إنها تنتقل في وتر العشر الأواخر من سنةٍ إلى سنةٍ؛ فمرة تكون ليلة إحدى

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٤)، صحيح مسلم (١١٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٢٦)، صحيح مسلم (١١٧٢).

(٣) صحيح البخاري (١٩٠١)، صحيح مسلم (٧٦٠).

وعشرين، ومرة تكون ليلة ثلاث وعشرين، ومرة ليلة خمس وعشرين، ومرة ليلة سبع وعشرين، ومرة ليلة تسع وعشرين، والله أعلم، واقتضت حكمة الله تعالى أنه عمى أمرها عنا لنجتهد في طلبها والتعرض لها، والله الحكمة البالغة.

وأرشد النبي ﷺ عائشة أن تقول إذا وافقتها: (اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني) (١).

ففيه دلالة على أن من أفضل ما يغتنم في ليلة القدر الدعاء ومن أفضله سؤال الله العفو.

❖ زكاة الفطر: وهي واجبة على كل مسلم حرّ عنده قوت يومه معها.

ويخرجها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته كأولاده وزوجته عن كل رأس صاعاً من طعام، كالقمح أو الشعير أو الأرز أو التمر؛ فهذا هو الأفضل، ويختار أن يخرجها من غالب طعام أهل البلد، وقد قدرها بعض العلماء المعاصرين - مع شيء من الاحتياط - باثنين ونصف من الكيلوجرامات وزناً.

وأجاز جماعة من العلماء إخراج قيمتها نقداً، منهم الإمام أبو حنيفة وأشهب من المالكية ﷺ، وفي هذا سعةٌ وتيسيرٌ إن شاء الله، إذ في بعض الأحوال تكون القيمة أفيد بما لا يقاس، والله أعلم.

وتدفع للحرّ الفقير المسلم.

وجاء في الحديث: (أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم) أي الطواف على الناس وسؤالهم، وإن كان الحديث إسناده ضعيف (٢).

ووقت إخراجها ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد، وأجاز العلماء تعجيلها يوماً أو يومين قبل العيد، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ [الأعلى] قال بعض السلف: هو إخراج زكاة الفطر وصلاة العيد (٣).

❖ عيد الفطر: العيد تمام الفرحة للصائمين ولكل المسلمين؛ يومٌ جعله الله لإظهار السرور وحمد الله وشكره وتكبيره على ما أتم من نعمة الصيام؛ فهو كالخاتمة السعيدة للصائمين، وتوزيع لهذا الموسم الكريم. ومهما تتعاضم الكروب على المسلمين فإن العيد يبقى يوم بهجة يخلط الأحزان

(١) سنن الترمذي (٣٥١٣)، سنن ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) سنن الدارقطني (٢١٣٣)، وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٨٤٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤ / ٣٢٠)، تفسير القرطبي (٢٠ / ٢٢).

بشيء من الفرحة، لتعتدل الأمزجة وتتداوى النفوس شيئاً من التداوي وتجدد الأمل والرجاء في مستقبل أفضل.

ولمن وفقه الله وصام رمضان آداب يوم عيد الفطر منها:

أن يفطر على تمرات قبل أن يخرج إلى صلاة العيد.

ومن السنة أن يخرج إلى العيد ماشياً حيث أمكن، وفي ذلك تواضع وإتاحة فرصة للتكبير والذكر وغير ذلك.

ومن السنة أن يخالف الطريق يوم العيد؛ فيذهب من طريق ويرجع من أخرى.

والسنة في العيد أن تصلى في المصلّى -أرض فضاء تعدّ في العادة للصلاة ونحوها-، لأنها أجمع للمسلمين وأتمّ لظهور الاجتماع والتكبير والفرح بهذا العيد.. فإن لم يمكن صليت في المسجد.

ومن سننها وآدابها الاغتسال لها والتطيب والتجمل باللباس.

ومن سننها التكبير في طريقها وفي انتظار الصلاة، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والحمد لله رب العالمين.

❖ وماذا بعد رمضان؟ عزمٌ و يقين واستقامة في كل حين.

سنّ لنا رسولنا ﷺ لمن من الله عليه بصيام شهر رمضان أن يتبعه بصيام ستة أيام من شهر شوال. وذلك من سياسة هذه الشريعة الحكيمة التي تستدرج النفس وتستجرّها رويداً رويداً إلى الخيرات وتستخرج منها عبوديتها لله تعالى بلطفٍ، وكأنها تقول للعبد: فقط زد هذا الشيء القليل، ثم تزيده أنواعاً أخرى، وترغبه فيها بأنواع الوعود والمرغبات، وتقول له زد هذا القليل السهل إنه ميسرٌ إن شاء الله، وهكذا لا يزال العبد في عبادة لربه وطاعة وعملٍ في مرضاته.

فرغّب النبي ﷺ في هذه الفضيلة فقال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر) رواه مسلم^(١)؛ قال العلماء: وذلك لأن الحسنه بعشر أمثالها، فصيام شهر -ثلاثين يوماً؛ يعادل صيام ثلاثمئة يوم، وصيام ستة بعده تعادل ستين يوماً فهذه ثلاثمئة وستون وهي السنّة على وجه التقريب

(١) صحيح مسلم (١١٦٤).

بحذف الكسر، وكل ذلك من فضل الله وعظيم منته على عباده؛ فالحمد لله رب العالمين.
فإذا من الله علينا إخواني بصيام رمضان، فلنعقد العزم أننا نستمر على طاعة الله بما يمكننا ونبذل
جهدنا في تحقيق الاستقامة والمسابقة إلى الخيرات.. صحيح أننا لن نكون في كل حين كما كنا في
رمضان، فرمضان موسم، النفس ساعة وساعة، ولكن لتعلم من رمضان ولنحاول أن نكون دائماً
أفضل.

صحيح أننا لنا أعمال ولنا أولاد وأزواج وغير ذلك لكن لا يعجز المسلم الناصح لنفسه الطامع في
النجاة والفلاح والفوز برضى ربه أن يتكيف مع ظرفه ويجعل له ورداً من القرآن والقيام والذكر وغير
ذلك.. ثم يظل يحن إلى رمضان، سائلاً المولى ﷺ أن يتقبل منه، وأن يبلغه رمضان الآخر ليزداد من
الخيرات والباقيات الصالحات.

وأهل المعاصي والذنوب؛ فإن رمضان نعم الطيب بإذن الله لترك المعاصي والإفلاع عن رذائل
العادات ومساويها، فمن كان مبتلياً بالتدخين فهذه فرصته مع رمضان فليبادر بالتطيب والعلاج
وليستعن بالله، ومن كان مبتلياً بالغضب فكذلك، ومن كان مبتلياً بالنظر المحرم فكذلك وكذلك.
اللهم اجعلنا في هذا الشهر الكريم الذي عظّمته ورفعت شأنه من المقبولين الفائزين.. اللهم وعمّر
أيامنا بطاعتك وشكرك، وعمّر قلوبنا بذكرك والأنس بك.. اللهم ارزقنا حلاوة الإيمان وطعمه ولذته
يا رب العالمين، وأغننا بها عن كل حلاوة فيما لا يرضيك.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلّى اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد النبي

الأمي وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

كتبه تذكرة لنفسه وإخوانه / عطية الله

تم الفراغ منه ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٤٢٥ هـ

